القاضي عبد الوهاب المالكي (ت 422 هـ)

حياته وآثاره العلمية

د. نذير حمادو

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية - قسنطينة -

كَمْ هي رغبتي شديدة ومُلِحَّة في خدمة أعلام المذهب المالكي، لا سيما أولئك الذين كان لهم الباع الأكبر في خدمته، ونصرته، هو حلم كان يراودني منذ أمد بعيد، و هاهي الفرصة اليوم مواتية لأتكلم عن حياة عالم جليل، كانت له الأيادي البيضاء، و الكعب العالي، في خدمة مذهب إمام دار الهجرة، مالك بن أنس –رضي الله تعالى عنه- ألا و هو القاضي عبد الوهاب المالكي البغدادي، الذي سنحاول في موضوعنا هذا إماطة اللثام عن بعض جوانب حياته العامة، و العلمية، و هذا من خلال التعرُّف على سيرته الذاتية، و آثاره العلمية الكثيرة والمتنوعة، و ذلك خلال المباحث الآتية:

1- اسمه ونسبه: هو القاضي المالكي، أبو محمد، عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون بن مالك بن طوق التَّغْلِبي البغدادي، من ذرية مالك بن طوق صاحب الرحبة[1].

---

[1]- وفيات الأعيان 220/3، و تاريخ بغداد 5703/11، و مختصر تاريخ دمشق 283/15، و هدية العارفين 637/1، و البداية و النهاية 32/12، و تبيين كذب المفتري، 250، و سير أعلام النبلاء 429/17-430، و معجم المؤلفين 226/6.

والرحبة: هي مكان أقطعه الرشيد لمالك بن طوق، بنى عليه قرية أطلق عليها اسمه، طولها ستون درجة و ربع، وعرضها ثلاث و ثلاثون درجة، بينها و بين دمشق مسيرة ثمانية أيام، و من حلب خمسة أيام، و إلى بغداد مائة فرسخ، و إلى الرقّة نيف و عشرون فرسخا، و هي بين الرقّة وبغداد على شاطئ الفرات[2].

2- مولده: ولد القاضي عبد الوهاب ببغداد، و ذلك يوم الخميس، السابع من شهر شوال سنة 362 هـ[3] ، الموافق للثاني عشر من شهر جويلية سنة 973م[4].

3- أسرته: مما لا شك فيه أنّ للوسط الذي يعيش فيه الشخص تأثيرا في بناء شخصيته، و تكوينه العلمي، فهذا أبوه من أعيان الشهود الْمُعَدَّلِينَ ببغداد[5] ، و أخوه أبو الحسن: محمد بن علي بن نصر أديبا فاضلا، صنف كتاب **المفاوضة** للملك جلال الدولة أبي منصور بن أبي طاهر البويهي، جمع فيه ما شاهده، وهو من الكتب الممتعة في ثلاثين كراسة[1]

هذه أسرة القاضي عبد الوهاب، و هي بلا شك توحي بالجو العلمي، و المعرفي الذي كان يحياه في وسطها، و الذي أَثَّرَ في توجهه العلمي والأدبي،

---

(2)- معجم البلدان 3/38-39.

(3)- الكامل 307/7، و وفيات الأعيان 222/3، و هدية العارفين 637/1، و الديباج المذهب 160.

(4)- تاريخ الأدب العربي 94/3.

(5)- الكامل 307/7.

(1)- الديباج المذهب 160، و سير أعلام النبلاء 432/17، و وفيات الأعيان 222/3، و شذرات الذهب 225/3.

فكان عَالِماً فَذاً في أصول الشريعة، و فروعها على مذهب الإمام مالك بن أنس، وشاعرا نحريرا تفوق أشعاره في جودتها ما يخطه بنان الكثيرين من فحول الشعراء، و الأدباء.

4- شيوخه[2]: لقد أطنب أصحاب كتب التراجم، و أفاضوا في ذكر شيوخ القاضي عبد الوهاب، لا سيما القاضي عياض منهم، و عليه: أقول: إن شيوخه لا يحصون كثرة؛ ولذا فضلنا التركيز على بعض الذين كان لهم الأثر البالغ في تكوينه العلمي عموما، و علمي الفقه والأصول خصوصا، فوقع اختيارنا على ثلاثة من الذين كانت لهم اليد الطولى، و الباع الكبير في تكوين شخصيته العلمية،و توجهه لفقه إمام دار الهجرة مالك بن أنس، و هؤلاء الثلاثة هم:

1- **ابن الْقَصَّار**: القاضي أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد، تفقه بالأبهري، له كتاب في مسائل الخلاف، لا يعرف للمالكيين كتابا في الخلاف أحسن منه، وكتاب المقدمة في الأصول، كان ثقة، قليل الحديث، قال القاضي عبد الوهاب:" تذاكرت مع أبي حامد الإسفراييني الشافعي في أهل العلم، و جرى ذكر أبي الحسن بن القصار، و كتابه في الحجة لمذهب مالك، فقال لي: ما ترك صاحبكم لقائل ما يقول. "، مات سنة: 378 هـ[3].

---

(2)- ينظر في تعداد شيوخه: تاريخ بغداد 5703/11، و وفيات الأعيان 220/3، و الكامل 307/7، و تاريخ الأدب العربي 94/3، و تاريخ الإسلام 85/28، و تبيين كذب المفتري 250، و شجرة النور الزكية 104، و سير أعلام النبلاء 430/17، و ترتيب المدارك 692/4.

(3)- ترتيب المدارك 692/4.

2- **ابن الْجَلاَّب:** وقيل: أبو الحسن بن الْجَلاَّب، عبيد الله بن الحسن، وقال الشيرازي:"اسمه عبد الرحمن بن عبيد الله." ، قال الذهبي :"و الأول هو الصواب"، تفقه بالأبهري، من أشهر مؤلفاته "التفريع في المذهب"، وله كتاب في مسائل الخلاف، من أحفظ أصحاب الأبهري، و أنبلهم، مات و هو منصرف من الحج في سنة: 378هـ[4].

3- **الباقلاني:** أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد، القاضي المعروف بابن الباقلاني، من أصحاب أبي بكر الأبهري، الملقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، المتكلم على مذهب المثبتة، وأهل الحديث، و طريقة أبي الحسن الأشعري، كان ثقة، إليه انتهت رئاسة المالكيين في عصره، له مؤلفات عديدة منها:

"إعجاز القرآن"، و"الملل و النحل"، و"البيان عن الفرق بين المعجزة والكرامة"، و"كشف أسرار الباطنية"، و" التقريب والإرشاد " الكبير، و الأوسط، و الصغير، في أصول الفقه. توفي رحمه الله سنة 403 هـ[1].

بعد تعريفنا بهؤلاء الشيوخ الثلاثة، نقول: إننا نحسب أنهم هم الذين كان لهم التأثير الأكبر في توجهه الفكري، وخاصة القاضي الباقلاني؛ الذي كان له التأثير البالغ على تكوين القاضي عبد الوهاب، وهذا ما صرَّح به القاضي عبد الوهاب نفسه، حيث قال:" والذي فتح أفواهنا، وجعلنا نتكلم أبو بكر بن الطيب ".

---

(4)- العبر 153/2، ترتيب المدارك 605/4، و شذرات الذهب 93/3، و النجوم الزاهرة 137/7.

(1)- الديباج المذهب 267، و ترتيب المدارك 585/4-602، و وفيات الأعيان 481/1.

5- **ثناء العلماء عليه:** لقد حضي بمكانة سامقة لدى أهل العلم والمعرفة، لا سيما أولئك الذين عرفوه عن قرب، أو من خلال كتبه ومصنفاته، فراحوا يَتَفَنَّنونَ في مدحه، والثناء عليه، بعبارات تليق بأمثاله من العلماء العاملين، و هذه باقة عطرة منها نوردها على النحو الآتي:

- قال فيه الخطيب البغدادي :" وكان ثقة، و لم نلق من المالكيين أحدا أفقه منه، و كان حسن النظر، جيد العبارة ..."[2].

- و قال ابن بَسَّام:" كان أبو محمد في وقته بقية الناس، ولسان أصحاب القياس، وهو أحد من صرَّف وجوه المذهب المالكي، بَيَّنَ لسان الكنانيّ، و نظر اليونانيّ، فقدّر أصوله، وحرّر فصوله، و قرّر جمله و تفاصيله، ونهج فيه سبيلا كانت قلبه طامسة المنار، دارسة الآثار، وكان أكثر الفقهاء ممن لعله كان أقرب سندا، و أرحب أمدا، قليل مادة البيان، كليل شباة اللسان، قَلَّمَا فصّل في كتبه غير مسائل يلقفها، ولا يثقفها ويبوبها ولا يرتبها، فهي متداخلة النظام، غير مستوفاة الأقسام، و كلهم قلّد أجر ما اجتهد، و جزاء ما نوى و اعتقد"[3].

- و قال الشيرازي :"أدركته، و سمعت كلامه في النظر، ... و كان فقيها متأدبا؛ شاعرا، و له كتب كثيرة في كل فن من الفقه".[4]

- كما قال ابن فرحون :"و كان حسن النظر، جد العبارة، نظارا، ناصرا للمذهب، ثقة، حجة، نسيج وحده، و فريد عصره"[5].

---

[2]- تاريخ بغداد 5704/11.

[3]- الذخيرة 515/2/4.

[4]- طبقات الفقهاء 168.

[5]- الديباج المذهب 159.

- كما كان أبو بكر الباقلاني يعجبه حفظ أبي عمران الفارسي، القيرواني، و يقول :"لو اجتمع في مدرستي هو، و عبد الوهاب، لاجتمع علم مالك، أبو عمران يحفظه، و عبد الوهاب ينصره"[6].

- و قال ابن حزم :"لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكي إلا عبد الوهاب، و الباجي لكفاهم"[1].

بعد إيرادنا لما قاله فيه بعض العلماء من مدح وثناء، يمكننا أن نكوّن صورة، ولو بسيطة عن تلك المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة التي كان يتبوأها القاضي عبد الوهاب في أوساط العلماء، ومحافل العلم و المعرفة.

6- **نماذج لمروياته المسندة:** كان القاضي عبد الوهاب فقيها متضلعا، و على الرغم من انشغاله الكبير بالفقه، فإنه كان مشاركا في بعض العلوم الأخرى؛ إذ حدّث ببعض الأحاديث التي رواها متحمّلاً إياها عن طريق الإسناد المتصل من لدنه إلى رسول الله ﷺ و هذا نموذج لذلك:

ما رواه الخطيب البغدادي، حيث قال:" أخبرنا أبو محمد بن نصر في سنة ثلاث عشرة و أربعمائة، أخبرنا عمر بن محمد بن إبراهيم البجلي، حدثنا محمد بن سليمان الباغندي، حدثنا علي بن عبد الله المدني، حدثنا يحي بن سعيد، حدثنا ابن أبي ذئب، حدثنا عبد الرحمن بن مهران عن عبد الرحمن بن سعد عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: ﴿الأَبْعَدُ فَالأَبْعَدُ إِلَى الْمَسْجِدِ أَعْظَمُ أَجْراً﴾ [2].

---

[6]- شجرة النور الزكية 104.

[1]- الديباج المذهب 121، و شجرة النور الزكية 120.

[2]- تاريخ بغداد 574/11، و مختصر تاريخ دمشق 283/15-284.

7- **توليه منصب القضاء:** لم يكن تولي منصب القضاء بالأمر الْهَيِّن عبر العصور المتعاقبة في تاريخ المسلمين، بل كان يُختار له من يكون أهلا لذلك من ذوي العلم الغزير، والمعارف الواسعة، و الدِّينِ المتين، فكان مترجمنا – رحمه الله تعالى- من أولئك العلماء العاملين، الذي تولوا قضاء كثير من المناطق؛ إذ وُلي قضاء الدينور، و بادرايا، و باكسايا، و هي بُلَيْدَات صغيرة من أعمال العراق، كما ولي قضاء أسعرد، وهي كلها تصغر عن قدره، ومكانته العلمية الرفيعة، كما ولي في آخر عمره قضاء المالكية بمصر التي استمرَّ فيها قاضيا لحين وفاته[3].

و قد كان أثناء فترات قضائه مثالا حيا، وأنموذجا صادقا لصورة القاضي العادل، الذي لا يخشى في قضائه أحدا إلا الله، همه في ذلك إنصاف المظلوم من الظالم، مهما كانت مكانة الظالم الاجتماعية، أو سطوته السلطانية.

8- **نماذج من جيد شعره:** لقد عانق الثريا بأشعاره الجياد، وناطح السحاب، وجاوز الفرقدين، فهو أحد فحول الشعراء الذين يجري القريض على ألسنتهم، كما يجري الماء الرقراق في شرعته؛ إذ لم يترك غَرَضاً شِعْرِيًّا إلا وأخذ منه بحظٍّ وافر، وهذه بعض النماذج الشعرية الدالة على علوٍّ كعبه في هذا الميدان:

1- في الغزل المطعَّم بلغة الفقهاء؛ إذ فيه إشارة فقهية إلى وجوب رَدِّ المغصوب:

و نائمة قبلتّها فتنبهت ... فقالت تعالوا واطلبوا اللصَّ بالْحَدِّ

فقلتُ لَهـا: إنِّي فَديتك غاصب ... و ما حكموا في غاصب بسوى الرَّدِّ

---

[3]- البداية و النهاية 32/12، و الديباج المذهب 159، و وفيات الأعيان 222/3، و الكامل 307/7.

خـــذيها و كفّي عن أثيم ظلامة ... و إن أنتِ لم ترضي فألفا على الـــعدِّ

فقالت: قصاص يشهد العقل أنه ... على كبد الجـــاني ألذّ مـــن الشَّهْـــد

فباتت يميني و هي همیان خصرها ... و باتت يساري و هي واســـطة العقد

فقالت: ألم أخـــبر بأنك زاهـــد ... فقلت: بلى مازلت أزهـــد في الزهد[1]

و قال أيضا:

مـــتى أخف الغراميصفه جسمي ... بألسنـــة الضنى الْخُـــرس الفـــصاح

فلو أن الثيـــاب فحصن عنّـــي ... خفيت خـــفاء خصرك في الوشاح[2]

2- في الحكمة و مصارعة الحياة:

طلبت المستقـــرّ بكـــل أرض ... فلـــم أر لـــي بأرض مستقـــرا

و نلت من الزمان و نال منّـــي ... فكـــان منـــاله حـــلوا و مـــرا

أطعتُ مطـــامعي فاستعبـــدتني ... فلو أنـــي قـــنـــعت لكنت حرا[3]

3- في الزمن و كيفية رفعه للوضعاء على حساب الشرفاء:

متـــى تصـــل العطاش إلى ارتواء ... إذا استقت البـــحار من الركـــايا

و مـــن يثني الأصـــاغر عن مراد ... و قـــد جـــلس الأكابر في الزوايا

و إن ترفّـــع الـــوضعاء يـــومـــا ... على الـــرفعاء من إحـــدى البلايا

---

(1)- فوات الوفيات 420/2-421، و تاريخ الإسلام 87/28، و شذرات الذهب 224/3، و البداية و النهاية 33/12، و سير أعلام النبلاء 431/17، و أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين 1114/2.

(2)- الذخيرة 528/2/4.

(3)- الديباج المذهب 160.

إذا استوت الأسافل و الأعالي فقد طابت منادمة الْمَنَايَا[4]

4- في الصفح و العفو بين الإخوان:

هبني أسأتُ كما زعمتَ فأين عاقبة الأخوَّة

و لئن أسأتَ كما أسأتُ فأين فضلك و الْمُروَّة

5- في القناعة و خدمة العلم:

يا نفس نفسي على شيئين لو جمعا عندي لكنت إذن من أسعد البشر

كفاف عيش يقيني كل مسألة و خدمة العلم حتى ينقضي عمري

6- في المودة الخالصة لوجه الله تعالى:

وكل مودة في الله تبقى على الأيام من سعة وضيق

و كل مودة فيما سواه فَكَالْحَلْفَاءِ فِي لَهب الْحريق[1]

هذا غيض من فيض من أشعاره الكثيرة المتناثرة في بطون كتب التراجم، وأمهات كتب السِّيَر، و لا أكون مبالغا إن قلتُ:إنه بأشعاره الكثيرة، والجيِّدة؛ حَقِيقٌ بأن يصنف في الْمَصَفِّ الأول ضمن فحول الشعراء، و كبار الأدباء.

9- **مراسلاته مع بعض الملوك:** رغب –رحمه الله تعالى- في الانتقال من بغداد لمصر؛ وذلك لكونه كان على نذهب مالك، وهو مذهب صحيح، و متجر ربيح، فكثرت عليه القالة في ذلك، و لكنه أثناء قدومه مكة المكرمة؛ لأداء فريضة الحج بلغه أن المستنصر بالله صاحب مصر مدحض لمذهب مالك، وأنه متوعِّد أتباعه، و المنافحين عنه بأليم المهالك، فكتب إليه مستوثقا راغبا في

---

[4]- شجرة النور الزكية 104، و الديباج المذهب 160، و فوات الوفيات 420/2.

[1]- الذخيرة : المجلد 2 قسم 4 ص 515.

الكشف عن ذلك بكتاب منه؛ حتى يقدم على مصر على هدى و بصيرة من أمره، فكتب للمستنصر بما يأتي:

:" حَصَّنَ اللهُ المؤمنين من الشيطان بجُنَنِ الطاعة، و دَثَّرَهم من قَرِّ وَسْوَاسِهِ بسرابيل القناعة، و وهبهم من نعمه مَدَداً، ومن توفيقه رَشَداً، وصَيَّرَهم إلى منهج الإسلام وسبيله الأقوم، وجعلهم من الآمنين، فيما هم عليه موقوفون، وزينهم بالتثبيت فيما هم عنه مسؤولون:﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46]، كتابي إليك من الجبِّ بإزاء مصرك، و فناء برِّك بعد أن كانت بغداد لي الوطن،والألفة و السكن، و لَمَّا كنتُ على مذهب صحيح، و تجر ربيح، كثرت عليَّ الخوارج، و شقَّ على الماء ارتقاء المناهج، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج : 40]، فأتيت مكة حرسها الله، لكي أقضي فرض الحج، مَنْ عَجَّ وَثَجَّ، أسأل الله تعالى القبول، وكيف و إنما يتقبل الله من المتقين، و قد كنتَ عندي ذا سنة ودين، محبًّا في الله تعالى، وفي النبيين، وفي محمد ﷺ،و المهديين، فورد الناطقون، و أتى المخبرون بخير ما أنت عليه، فذكروا أنك مدحض لمذهب مالك، موعد لصاحبه بأليم المهالك، هيهات هيهات ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر : 30-31] ، فأبيتُ القبول على أمر لم يصحَّ بيانه؛ لكثرة الكذب في الدنيا، وإذ لا يَحِلُّ لمسلم أن يموت طوعا، فأردتُ الكشف عن ذلك بكتاب منك، والسلام على من اتبع الهدى"[2].

رد المستنصر بالله على كتابه: لما بلغ كتابه صاحب مصر، رد عليه بما يليق بمقامه العلمي، مادحا بلاغته، التي كست رسالته إليه، وخطّه الجميل الذي

---

[2]- الذخيرة : المجلد 2 قسم 4 ص 516.

زيّن به سطور كتابه، معطيا إياه الأمان على مهجته داعيا له بالسلامة و طول العمر، و هذا شطر مما ورد في رد المستنصر بالله على كتابه :"حرص الله مهجتك، وطوّل مدّتك، و قدّم أمير المؤمنين إلى المنية قبلك، وخصه بها دونك، ورد كتابك المكرّم، و أتى خطابك المعظّم، يفصح البكم، ويترل العُصْم، هبّت عليه رياح البلاغة فنمّقته،و وكفت عليه سحائب البراعة، فرقّقته، فياله من خطّ بهيّ، و لفظ شهي، تذكر فيه حسن ظنونك بنا، و تثبيت مآثرنا، فلما أن عرست بإزائها، ورد من فسخ عليك، فخذ بظاهر ما كان عندك وَرَد، و دع لربك علم ذات الصور، و السلام ."[1]

10- **تلاميذه:** لقد كتب الله تعالى للقاضي عبد الوهاب القبول في الأرض، فأقبل عليه طلبة العلم، ينهلون من معين علمه الجم، ومعارفه الغزيرة، مشبعين بذلك هممهم العلمي، و رغبتهم الملحة في طلب المزيد مما عنده من كنوز علمية دفينة؛ ونظرا لإقبال الراغبين في الأخذ و التتلمذ على يديه فإني أقول: إنهم لا يحصون كثرة؛ ولذا سوف نقتصر على ذكر بعضهم على النحو الآتي:

الخطيب البغدادي: أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد، المعروف بالخطيب البغدادي، محدّث بغداد ومؤرخها، وصاحب التصانيف الكثيرة كـ "الكفاية"، و "تاريخ بغداد"، و غيرهما، توفي سنة 463هـ[2].

ابن عمروس: أبو الفضل، محمد بن عبد الله بن عمروس البغدادي، أحمد فقهاء المذهب المالكي،والمبرّزين فيه، إليه انتهت مقاليد الفتوى ببغداد،

---

[1]- المصدر نفسه 4/2/520-521.

[2]- تذكرة الحفاظ 3/1135، و البداية و النهاية 12/101-103 و مرآة الجنان 3/88.

وكان زيادة عن تبحرّه في الفقه، متضلعا في القراءات؛ إذ كان من القرّاء المجوّدين، توفي سنة 452هـ[3].

ابن سماخ: القاضي أبو عبد الله الغافقي محمد بن الحسن، الحبيب بن سماخ، كان من أهل العلم،و الفقه، والفضل، له رحلة لقي فيها القاضي عبد الوهاب، أثنى عليه فقهاء قرطبة، و وصفوه بالعلم، و الفضل، و السداد فيما تولاه[4].

عبد الحق بن هارون: أبو محمد، عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي القرشي، من أهل صقلية، حج مرتين، فلقي في إحداهما أبا محمد عبد الوهاب بن نصر، و أبا ذر الهروي، له مؤلفات عديدة منها "النكت"، و "الفروق لمسائل المدونة"، و "تهذيب الطالب في شرح المدونة"، الذي نبه فيه على ما استدركه على كتاب النكت، توفي بالإسكندرية سنة 466هـ[5].

11- **رحلته من بغداد إلى مصر:** قال القاضي عبد الوهاب لأهل بغداد ساعة توديعهم له :"لو وجدتُ بين ظهرانيكم رغيفين كل غداة و عشية، ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية".

من خلال مقولته هذه، يتضح أنه ما ترك بغداد عن زهد فيها، وإنما دعته الفاقة، والحاجة لمغادرتها طلبا للرزق، الذي يسدّ رمقه، و يحفظ ماء وجهه عن ذلّ السؤال، و مما يؤكد حبه لبغداد، وأن ضرورة الفقر دفعته للرحيل عنها و إلا لما كان يعدل بها غيرها قوله:

---

(3)- تاريخ بغداد 339/2، و سير أعلام النبلاء 73/18، و الإعلام بوفيات الأعلام 301/1.

(4)- ترتيب المدارك 830/4.

(5)- المصدر نفسه 774/4-776.

سـلام على بغداد في كل منـزل و حقّ لَها مني السـلام المضاعفُ

لـعمرك ما فارقتها عن قلى لـها و إنّي بشطّي حـانبيها لعـارفُ

و لكنهـا ضـاقت عليّ بأسرها و لم تكـن الأرزاق فيها تساعفُ

و كانت كخلٍّ كنت أهوى دنوَّه و أخـلاقه تنـأى به و تُخالفُ[1]

و كذا قوله:

بغـداد دار لأهـل الْمـال طيبة و للمفـاليس دار الضَّنك و الضّيقِ

ظـللت حَيْران أمشي فِي أزقتها كأنّني مصحف فِي بيت زنـديق[2]

و لما أكثروا عليه اللوم في مغادرته لوطنه الأم بغداد، محتجين بكونه لـو كان صادقا في حبه لبلاده،وتعلقه بها لما رحل عنها لغيرها، فردّ عليهم في ذلك، مبرّراً ضعنه عنها بقوله:

و قـائلة لـو كان ودّك صادقـا لـبغداد لم تـرحل فكـان حوابيا

يقيم الرِّجال الموسرون بأرضـهم و ترمـي النوى بالمقترين الْمراسيا

و ما هـجروا أوطانهم عن ملالة و لكن حـذارا من شمات الأعـاديا[3]

---

(1)- وفيات الأعيان 220/3، و المنتظم 221/15، و طبقات الفقهاء 169، و مختصر تاريخ دمشق 284/15، و تاريخ الإسلام 86/28، و شذرات الذهب 224/3، و البداية و النهاية 32/12، و تبيين كذب المفتري 250.

(2)- فوات الوفيات 420/2، و الكامل 307/7.

(3)- ترتيب المدارك 694/4.

و أثناء رحلته هذه مرّ بدمشق مجتازا إلى مصر، وكان ذلك سنة 419 هـ، و ذلك في شوال وخرج منها في جمادي الأول سنة 420 هـ[4]؛ إذ لم يدم بقاؤه فيها غير ثمانية أشهر.

كما اجتاز في طريقه بمعرّة النعمان، وبالمعرّة يومئذ أبو العلاء المعرّي، فأضافه، و أكرم وفادته، و نزله، و خصه بشيء من لزومياته، و من جملة ما قاله أبو العلاء في ذلك:

و المالكي ابن نصر زار في سفر ... بلادنا فحمدنا النأي و السفرا

إذا تفقه أحيا مالكا جدلا ... و ينشر الملك الضّليل إن شعرا [5]

قال الشيخ عبد الله كنون فقيه المغرب الأقصى:" وكفى بها شهادة لشاعرية هذا الفقيه من أبي العلاء فيلسوف الشعراء ".[1]

و هكذا واصل القاضي عبد الوهاب طريقه إلى مصر، حيث ولي قضاء المالكية بها، و فتحت عليه الدنيا، وأقبلت تجرّ أذيالها على عتباته، وأدبر الضيق و الضنك، إلا أن هذه الحال لم تدم طويلا؛ إذ كان ريب المنون له بالمرصاد، حتى أنه نقل عنه قوله لما حضرته الوفاة :"لا إله إلا الله لَمَّا عِشْنَا مِتْنَا".

و هنا ننبه إلى أنه يوم ترك بغداد كانت وجهته أرض المغرب العربي، لا سيما و أن ابني ابن أبي زيد القيرواني طلبا منه ذلك، رغبة منهما في إكرامه، و

---

(4)- المصدر السابق.

(5)- شجرة النور الزكية 104، و سير أعلام النبلاء 430/17، و تاريخ الإسلام 86/28-87، و وفيات الأعيان 220/3، و فوات الوفيات 420/2، و شذرات الذهب 224/3، و أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين 1114/2.

(1)- أدب الفقهاء ص 42.

ذلك لاعتنائه، و شرحه لكثير من تراث أبيهما، وكان القاضي هو الآخر يرغب في القدوم لأرض المغرب، و لكنه لما حطّ الرِّحَالَ بأرض الكنانة مصر، و وصفت له أرض المغرب زهد فيها؛ لأنه وجد ضالته المتمثلة في سعة العيش بمصر، و خشي إن رحل لأرض المغرب أن لا يتسع حاله؛ ولذا ردّ على ابني الشيخ ابن أبي زيد القيرواني لما دعواه بقوله:

و كل مودة في الله تبقى ... على الأيام من سعة و ضيق

أنا ذاك الصديق لكن قلبي ... عن قرب الديار ليس بقلب

ما انتفعنا بقربكم ثم لا لوم ... عليكم و إنما الذنب ذنبي

أنا في حطة و أسأل ربي ... في خلاصي من شرّها ثم حسبي.[2]

12- **آثاره العلمية:** كان –رحمه الله تعالى- أحد المكثرين الذين أسهموا في بناء الحضارة الإسلامية؛ بجهوده العظيمة، يعترف بها القاصي والداني، وإن من أجل تلك الجهود مصنفاته العلمية التي تلقاها العلماء عنه بالقبول، و الاستحسان، وسنحاول تسليط الضوء على هذه المؤلفات، موردين إياها على النحو الآتي:

أولا: آثاره المطبوعة:

1- المعونة على مذهب عالم المدينة: "الإمام مالك بن أنس"، وهو كتاب جامع لفقه المذهب بجميع أبوابه، وهو في نظري – بعد المقارنة- توسع لكتابه "التلقين" مع ذكر الأدلة.قام بتحقيق و دراسته حميش عبد الحق.طبع المكتبة التجارية لمصطفى أحمد الباز مكة المكرمة.

---

[2]- ترتيب المدارك 694/4.

2- الإشراف على مسائل الخلاف: قام بتحقيق و دراسته الحبيب بن الطاهر طبع دار ابن حزم.

3- التلقين في الفروع: هو تلخيص لفقه المذهب بتجريده من ذكر الروايات المتعددة ومصادرها،

والاكتفاء بذكر القول الراجح في المذهب؛ فهو بهذا كتاب مدرسي سهل التناول. وهو مع صغر

حجمه، من خيار الكتب، و أكثرها فائدة، طبع المكتبة التجارية بمكة المكرمة.

ثانيا: آثاره غير المطبوعة: و هي كثيرة منها:

4- عيون المسائل [1]، أو عيون المجالس، وفي مكتبة الشيخ ابن عاشور تحت رقم 187 بعنوان عيون من مسائل الأحكام و القضايا ".

5- الجوهرة في المذاهب العشرة [2].

6- شرح المدونة لم يتمه.

7- الأدلة في مسائل الخلاف [3].

---

[1]- إيضاح المكنون 134/2، و هدية العارفين 637/1، و فوات الوفيات 419/2-420، و الأعلام 184/4، و معجم المؤلفين 227/6، و شجرة النور الزكية 104، و ترتيب المادرك 962/4، و الديباج المذهب 160.

[2]- هدية العارفين 637/1.

[3]- فوات الوفيات 420/2، و تاريخ الأدب العربي 94/3، و هدية العارفين 637/1، و شجرة النور الزكية 104، و الديباج المذهب 159-160، و معجم المؤلفين 227/6.

8- المعرفة في شرح الرسالة [4].

9- النصرة لمذهب إمام دار الهجرة [5].

10- غرر المحاضرة و رؤوس مسائل المناظرة.

11- شرح فصول الأحكام.

12- اختصار عيون المجالس[6].و اختصار عيون الأدلة لابن القصار.

13- الممهد في شرح مختصر ابن أبي زيد القيرواني صنع نحو نصفه.

14- شرح التلقين لم يتمه.

15- الإفادة في أصول الفقه.

16- التلخيص في أصول الفقه[7].

17- البروق في مسائل الفقه[8].

18- الرد على المزني.

19- المفاخر في الأصول.

20- المروزي في الأصول[9].

---

[4]- سير أعلام النبلاء 430/17، و فوات الوفيات 419/2.

[5]- ترتيب المدارك 692/4، و الديباج المذهب 159.

[6]- تاريخ الأدب العربي 94/3، و الأعلام 184/4.

[7]- شجرة النور الزكية 104، و ترتيب المدارك 692/4.

[8]- الديباج المذهب 160، و شجرة النور الزكية 104.

[9]- ترتيب المدارك 692/4.

13- **وفاته:** توفي ليلة الاثنين الرابع عشر من صفر سنة 422 هـ بمصر [1]، الموافق للحادي عشر من شهر فيفري سنة 1031م.[2] وقيل: في شعبان من السنة نفسها [3]، كما روي أن سبب وفاته، كان من الإكثار من أكلة اشتهاها[4]، ولما جاءه الترع، و تضاعف عليه الألم، و شعر أنه ملاق حتفه لا محالة دون أن يتنعّم، ويتمتع بالدنيا، وقد فتحت عليه بعد ضيق فقال :"لا إله إلا الله لما عِشْنَا مِتْنَا"[5].

هكذا قضى القاضي عبد الوهاب نحبه؛ ليدفن في مصر بالقرافة الصغرى قريبا من قبر كل من الإمام الشافعي[6] ، و ابن القاسم، و أشهب[7] ، بعيدا عن الأهل والخلان، الذين خلفهم بمدينة السلام بغداد. وهكذا يموت العظماء، والعلماء العاملون، تاركين وراءهم ذكرا حسنا، و علما مبثوثا يبقى لهم صدقة جارية تدرّ عليهم المثوبة و الأجر إلى يوم الدين.

و في الختام: نحسب أننا طوّقنا بحياة القاضي عبد الوهاب، وكشفنا النقاب عن الكثير من جوانب حياته العامة، وكذا العلمية، سائلين المولى تبارك و تعالى أن ييسر لنا التعريف بِعَلَمٍ آخر من أعلام المذهب المالكي، هذا المذهب الذي يتبعه جلُّ سكان المغرب العربي عموما، وبلنا الجزائر الحبيبة خصوصا.

---

(1) - وفيات الأعيان 222/3.

(2)- تاريخ الأدب العربي 94/3.

(3)- المنتظم 221/15، و وفيات الأعيان 222/3، و العبر 248/2.

(4)- الكامل 307/7.

(5)- الديباج المذهب 159.

(6)- شذرات الذهب 224/3.

(7)- الديباج المذهب 160.

التعداد التشريعي للأعمال التجارية بحسب الموضوع الوارد في القانون التجاري الجزائري.

أ.شريط وسيلة .

تقديم:

هناك نظريتان تحكمان القانون التجاري عموما, أولهما النظرية الشخصية حيث يعتبر القانون التجاري من زاوية نظرها هو قانون التجار وفقط. وعليه يكتسب الصفة التجارية كل من يقوم على سبيل الاحتراف بعمل تجاري, وهكذا يظهر القانون التجاري على أنه قانون مهنيّ خاص بالتجار.

وثانيهما النظرية الموضوعية فتعتبر القانون التجاري هو قانون التجارة أي قانون العمل أو قانون النشاط التجاري, سواء أكان القائم بهذا النشاط التاجر أو غيره, وسواء أكانت هذه الأعمال تجارية بطبيعتها أم تجارية بالتبعية.

والواقع أن أغلب التشريعات تمزج بين النظريتين, وحسنا فعل المشرع التجاري الجزائري, إذ جمع بين أفكار النظريتين ومنه فقد تبنى نظاما مختلطا يتناسب وخصوصية القانون التجاري خاصة جانب السرعة والمرونة,وهكذا يظهر أخذه بالنظرية الشخصية من خلال المادة الأولى تجاري جزائري[1].

---

[1] – المادة الأولى تجاري جزائري: " يعد تاجرا كل شخص طبيعي أو معنوي يباشر عملا تجاريا ويتخذه مهنة معتادة له, ما لم يقض القانون بخلاف ذلك ". عدلت هذه المادة بموجب الأمر رقم 96-27 المؤرخ في 09 ديسمبر 1996 وكانت محررة على النحو الآتي: " يعد تاجرا كل من يباشر عملا تجاريا ويتخذه حرفة معتادة له ".